

غاية الإحسان

فى فضل شهر رمضان
و فضل زكاة الفطر

تأليف
أبى الفضل
عبد الله الصديق الغمارى

الطبعة الرابعة
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

الناشر



تأسست ١٩٣٥ م

القاهرة



رقم الإيداع بدار الكتب

١٩٩٩/١٦٤٥٨

الترقيم الدولى B.N.SI.

٩٧٧-٥٤٣٧-٦٩-٥

جميع حقوق الطبع والتحقيق والتعليق والنشر والتوزيع والنقل والترجمة والأقتباس

محفوظة حسب قوانين النشر

خاصة بمكتبة القاهرة

لصاحبها: على يوسف سليمان وأولاده

١٢ شارع الصناديقية بالأزهر ت : ٢٥٩٠٥٩٠٩

١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت : ٢٥١٤٧٥٨٠

جوال: ٠١٢٢٢٧٥٠٩٤٢

رمز بريدى ١١٥١١ — الأزهر — القاهرة

Alqahirah٥٥@yahoo.com – Tarekali٥٩@yahoo.com

إهداء

.. إلى الذين لم يراعوا حرمة هذا الشهر الكريم فأفطروا فيه .

.. إلى الذين لم يراعوا حرمة الصوم فأثموا فيه .

.. إلى الذين اتخذوا شهر رمضان وسيلة لاقتناص الملذات ، وطريقا لنيل الشهوات .

.. إلى هؤلاء جميعا أهدى هذا الكتاب .

مقدمة

أسرار الصيام (شهر رمضان)

الحمد لله الغنى الكريم . الرؤوف الرحيم . خلق العباد على مراتب ودرجات . وجعل لهم في أيام دهرهم مواسم للخيرات . فالسعيد من وفق لاغتنام تلك المواسم ، واتخذ فيها لطاعة مولاه خطى ومراسم . أحمده سبحانه على ما وفق وهدى . واعتصم به جل شأنه من سلوك سبيل الردى .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ننجو بها من العذاب غدا وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله أفضل من دعا الى طريق الهدى ﷺ وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم . ما كر الجديدان وتعاقب الملوان .

أما بعد : —

فإن شهر رمضان شهر كبير القدر، جليل الخطر ﴿ أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة: ١٨٥) ، وأكرم الصائمين فيه باستجابة الدعاء وعموم الغفران وهياً لهم أسباب الطاعة فيه بفتح أبواب الجنان، وتغليق أبواب النيران، وتصفيد مرده الجان . وضاعف ثواب صومه مضاعفة لا يقدر قدرها إنسان . إلى غير ذلك من الفضائل التى يضيق عنها البيان . حتى لقد جاء وصفه فى بعض الأحاديث^(١) بأنه سيد الشهور . وكيف لا ؟ وهو شهر تكثر فيه الخيرات ويعظم السرور . ويهذب الطباع ويلين العرائك . ويصير الصائمين أشبه بالملائك .

وهذا كتاب صغير الحجم . غزير العلم . كبير الفائدة . جم العائدة . يكشف لقارئه عن جوانب من فضل هذا الشهر العظيم ويبين عما ورد فيه من أنواع التكريم .

(١) فى مسند البزار بإسناد ضعيف عن أبى سعيد الخدرى قال : قال النبى ﷺ { سيد الشهور شهر رمضان وأعظمها حرمة ذو الحجة }

ما أوردت فيه ألا حديثا صحيحا يحتج به فى كل حال أو حديثا ضعيفا يقبل فى فضائل الأعمال. وأبحث جنى ثمرة لينال كل قارئ من خيره، وحشوته بفوائد يحتاج إليها العالم قبل غيره . وقصدي بذلك أن تنالنى دعوة سالحة من بعض القراء الكرام . والله المستؤل أن يكرمنا وأحبابنا بخير الدنيا والآخرة وأن يوفقنا ويستر عوراتنا، ويؤمن روعاتنا، بفضلہ وكرمه ، إنه جواد كريم .

أبو الفضل

عبد الله محمد الصديق الغمارى الحسنى

كيف كان بدء الصيام

ثبت فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان يصوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية وكان النبي ﷺ يصومه ، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه ، فلما نزل رمضان كان رمضان الفريضة ، وترك عاشوراء فكان من شاء صامه ومن شاء لم يصمه .

وفى الصحيحين عن ابن عمر ؓ قال : كان عاشوراء يصومه أهل الجاهلية فلما نزل رمضان قال : {من شاء صامه ومن لم يشأ لم يصمه} وفى الصحيحين أيضا عن علقمه قال : دخل الأشعث بن قيس على ابن مسعود ؓ وهو يطعم - بفتح الياء والعين أى يأكل - فقال : يا أبا عبد الرحمن اليوم عاشوراء ، فقال ابن مسعود كان يصام قبل أن ينزل رمضان فلما نزل رمضان ترك فادن فكل .

وفيهما أيضا عن ابن عباس ؓ قال : قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم صالح نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال : {فأنا أحق بموسى منكم} فصامه وأمر بصيامه .

قلت : كانت قريش تصوم يوم عاشوراء وتعظمه بكسوة الكعبة فيه ، وجاء فى المجلس الثالث من مجالس الباغندى الكبير عن عكرمة أنه سئل عن ذلك فقال : أذنبت قريش ذنبا فى الجاهلية فعظم فى صدورهم ، فقليل لهم صوم عاشورا يكفر ذلك . وأما صوم اليهود يوم عاشوراء فهو شكر لله على انجاء موسى وبنى إسرائيل ، وإغراق فرعون ، وظاهر هذه الأحاديث التى أوردناها أن صوم يوم عاشوراء كان مفروضا ثم نسخ بفرضية رمضان وبهذا قال الحنفية ، وهو وجه فى مذهب الشافعية ، والمشهور عندهم ، وهو قول الجمهور - أنه لم يجب صوم قط قبل رمضان لا عاشوراء ولا غيره ، والأول أصح ، وكان فرضية صوم عاشوراء سنة قدوم

النبي ﷺ المدينة، وفي السنة الثانية نزل صوم رمضان .

كف تدرجت أحوال الصيام

روى الإمام أحمد فى المسند عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال أحييت الصلاة ثلاثة أحوال وأحيل الصيام ثلاثة أحوال:

فأما أحوال الصلاة: فإن النبي ﷺ وآله قدم المدينة وهو: يصلى سبعة عشر شهرا إلى بيت المقدس، ثم إن الله ﷻ أنزل عليه ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ (البقرة: ١٤٤)، فوجهه الله إلى مكة، هذا حول، قال: وكانوا يتجمعون للصلاة ويؤذن بها بعضهم بعضا حتى نقسوا أو كادوا ينقسون - أي كادوا يستعملون الناقوس للإعلام بالصلاة - ثم إن رجلا من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد بن عبد ربه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني رأيت فيما يرى النائم ولو قلت إني لم أكن نائما لصدقت إني بينما أنا بين النائم واليقظان إذ رأيت شخصا عليه ثوبان أخضران فاستقبل القبلة فقال: الله اكبر الله اكبر اشهد ألا اله إلا الله - مثنى - حتى فرغ من الآذان ثم أمهل ساعة، ثم قال مثل الذي قال غير انه يزيد فى ذلك: قد قامت الصلاة - مرتين - قال رسول الله ﷺ: {علمها بلالا فليؤذن بها} فكان بلال أول من أذن بها، قال وجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله قد طاف بي مثل الذي طاف به غيره أنه سبقني، فهذان حالان قال: وكانوا يأتون الصلاة وقد سبقهم النبي ﷺ ببعضها فكان الرجل يشير إلى الرجل: كم صلى؟ فيقول واحدة أو اثنتين، فيصليهما ثم يدخل مع القوم فى صلاتهم، قال فجاء معاذ فقال: لا أجده على حال أبدا إلا كنت عليها ثم قضيت ما سبقني، قال فجاء وقد سبقه النبي ﷺ ببعضها قال:

فثبت معه فلما قضى رسول الله ﷺ قام فقضى فقال رسول الله ﷺ {إنه سن لكم معاذ فهكذا فاصنعوا} فهذه ثلاثة أحوال .

وأما أحوال الصيام: فإن رسول ﷺ قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وصام عاشوراء، ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ (البقرة: ١٨٣-١٨٤) فكان من شاء صامه ومن شاء أطعم مسكينا فأجزأ ذلك عنه، ثم أن الله ﷻ أنزل الآية الأخرى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة: ١٨٥) فاثبت الله صيامه على المقيم الصحيح، ورخص فيه للمريض والمسافر، وثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام، فهذان حالان، قال: وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا فإذا ناموا امتنعوا ثم إن رجلا من الأنصار يقال له صرمة، كان يعمل صائما حتى أمسى فجاء إلى أهله حتى صلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فاصبح صائما فراه رسول الله ﷺ وقد جهد جهداً شديداً فقال: مالي أراك قد جهدت جهداً شديداً؟ قال يا رسول الله إني عملت أمس فجئت فألقيت نفسي فنمت فأصبحت حين أصبحت صائما . قال: وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام، فأتى النبي ﷺ فذكر له ذلك فأنزل الله ﷻ ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (البقرة: ١٨٧) وأخرجه أيضاً أبو داود والحاكم .

فتبين من هذا الحديث أن الصيام تدرج على ثلاثة أحوال:

إحداها: صيام عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر، ثم فرض الصيام على التخيير بمعنى أن من شاء صام ومن شاء أفطر وفدى بالإطعام .

ثانيهما: نسخ التخيير وفرض الصيام على كل مقيم صحيح، وبقي الإطعام في حق الشيخ الهرم الذي لا يستطيع الصيام . قال البخاري في الصحيح وأما الشيخ الكبير الذي لم يطق الصيام فقد أطعم أنس بعد ما كبر - عاما أو عامين - عن كل يوم مسكينا خبز ولحما وأفطر أهـ، وكذلك فعل عطاء بعد ما كبر وضعف عن الصيام .

الثالثهما: إباحة الأكل والشرب طوال الليل قبل النوم وبعده، وكان قبل ذلك من نام قبل أن يأكل وجب عليه مواصلة الصوم إلى اليوم التالي وكان سبب الإباحة والتخفيف حادثة الأنصاري وعمر رضي الله عنه . عنهما كما جاء في هذا الحديث الذي نتكلم عنه، وثبت مثله في صحيح البخاري أيضا، وصرمة الأنصاري اضطرب الرواة في أسمه كثيرا والصواب في ذلك على ما حققه الحافظ ابن عبد البر أنه: أبو قيس صرمة - بكسر الصاد وسكون الراء - بن أبي أنس قيس بن مالك بن عدى . ابن عامر بن غنم - بفتح الغين وسكون النون - بن عدى بن النجار قال ابن إسحاق كان صرمة رجلا قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وفارق الأوثان واغتسل من الجنابة، وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتا له فاتخذة مسجدا لا يدخل عليه طامث، ولا جنب وقال: أعبد رب إبراهيم، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلم فحسن إسلامه وهو شيخ كبير وكان قولا بالحق، معظما لله في الجاهلية، قال سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد قال: سمعت عجوزا من الأنصار تقول: رأيت ابن عباس يختلف إلى صرمة بن قيس يتعلم منه هذه الأبيات - قالها صرمة في مدح النبي ﷺ وهى:

يذكر لو يلفى صديقا مواتيا

ثوى في قريش بضع عشر حجة

فلم ير من يؤوى ولم ير واعيا

ويعرض في أهل المواسم نفسه

فلما أتانا واستقر به النوى
وأصبح لا يخشى ظلامه ظالم
بذلنا له الأموال من حل مالنا
نعدى الذي عادى من الناس كلهم
ونعلم أن الله لا شىء غيره
وأصبح مسرورا بطيبة راضيا
بعيد ولا يخشى من الناس باغيا
وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
جميعا وإن كان الحبيب المواتيا
وأن كتاب الله أصبح هاديا

هل فرض صوم رمضان على من قبلنا ؟

اختلف العلماء: هل كان صوم رمضان مفروضا على أهل الكتاب من قبلنا أو لا؟ فذهب الحسن البصري والسدى إلى أن رمضان كان مفروضا على الأمم السابقة واستدلا بحديث رواه ابن أبى حاتم عن ابن عمر مرفوعا {صيام رمضان كتبه الله على الأمم قبلكم} وهو حديث ضعيف .

وروى الطبرانى فى الأوسط عن دغفل بن حنظلة النسابة عن رسول الله ﷺ قال: {كان على النصارى صوم شهر رمضان، وكان عليهم ملك فمرض فقال لئن شفاه الله ليزدن عشره أيام، ثم كان عليهم ملك بعده فأكل اللحم فوجع، فقال لئن شفاه الله ليزدن ثمانية أيام، ثم كان عليهم ملك بعده فقال ما نفرغ من هذه الأيام أن نتمها ونجعل صومها فى الربيع فصارت خمسون يوما} . وإسناده صحيح إلا أن الطبرانى رواه فى الكبير بإسناد صحيح أيضا موقوفا على دغفل ولم يرفعه إلى النبي ﷺ، ودغفل بوزن جعفر لم تثبت له صحبة .

وذهب الجمهور إلى أن الصوم إنما فرض على الأمم السابقة مطلق الصوم غير مقيد بـرمضان .

وأخرج ابن جرير عن عطاء فى قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ (البقرة: ١٨٣-١٨٤) قال: كتب عليكم الصيام ثلاثة أيام من كل شهر وكان هذا صيام الناس قبل ذلك، ثم فرض الله شهر رمضان وورد مثله عن معاذ وابن مسعود وابن عباس وقتادة والضحاك بن مزاحم وزاد: لم يزل هذا الصوم مشروعاً من زمان نوح عليه السلام إلى أن نسخ الله ذلك بصوم رمضان أهـ .

ولهذا عد شهر رمضان من خصائصه ﷺ انظر كتاب الخصائص الكبرى للسيوطى .

قصة الرجل الذي جاء يسأل عن الإسلام

ثبت فى الصحيحين وغيرهما عن أنس بن مالك قال: بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ فى المسجد دخل رجل على جمل فأناخه فى المسجد ثم عقله ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي ﷺ وآله وسلم متكئ بين ظهرائهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ، فقال له الرجل: ابن عبد المطلب - أى يا ابن عبد المطلب - فقال له النبي ﷺ {قد أجبتك} فقال الرجل للنبي ﷺ: أنى سائلك فمشدد عليك فى المسألة فلا تجد على فى نفسك، فقال: {سل عما بدا لك} . فقال: أسألك بربك ورب من قبلك الله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال {اللهم نعم} . قال: أنشدك بالله الله أمرك أن تصلى الصلوات الخمس فى اليوم واليلة؟ قال {اللهم نعم} . قال: أنشدك بالله الله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة؟ قال {اللهم نعم} . قال: أنشدك بالله الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ {اللهم نعم} . فقال الرجل: آمنت بما

جئت به ، وأنا رسول من ورائي من قومي ، وأنا ضمام بنى ثعلبة أخو بنى سعد بنى بكر .

وفى رواية عن أنس قال نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع ، فجاء رجل من أهل البادية فقال يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أن الله أرسلك، قال {صدق} قال: فمن خلق السماء؟ قال {الله} قال: فمن خلق الأرض؟ قال {الله} قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال {الله} قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال الله أرسلك؟ قال {نعم} قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا؟ قال: {نعم} وزعم رسولك أن علينا زكاة فى أموالنا؟ قال {صدق} فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان فى سنتنا؟ قال {صدق} قال فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال {نعم} قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا؟ قال {صدق} قال: ثم ولى وقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن، فقال النبي ﷺ {لئن صدق ليدخلن الجنة} .

قلت: نهى الله الصحابة عن سؤال النبي ﷺ فيما لم ينزل به قرآن، ولا دعت إليه ضرورة تعليم مثلاً، وكان سبب النهى ما رواه البخاري فى صحيحه عن ابن عباس ؓ قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل: من أبى؟ ويقول الرجل تضل ناقتي: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ (المائدة: ١٠١) . حتى فرغ من الآية كلها . فكان الصحابة بعد نزول هذه الآية لا يسألون رسول الله ﷺ إلا لعراض مهم وكانوا يحبون أن يأتي الرجل الغريب العاقل يسأل رسول الله ﷺ فيستفيدون من ذلك، وممن وفد على رسول الله ﷺ من الغرباء العقلاء ضمام - بكسر الضاد -

بن ثعلبة أوفده قومه سنة تسع، فأظهر من حسن أدبه وكمال عقله فى سؤال النبي ﷺ ما لفت نظر الصحابة إليه، حتى قال عمر رضي الله عنه: ما رأيت احسن مسألة ولا أوجز من ضمام، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام، ثم لما رجع ضمام إلى قومه بنى سعد بن بكر صدقوه وآمنوا، وفى هذه القصة فوائد ولطائف بينها شرائح الحديث.

أسهم الإسلام ثمانية

أخرج البزار عن حذيفة رضي الله عنه وأبو يعلى عن على عليه السلام عن النبي ﷺ قال الإسلام ثمانية أسهم، الإسلام - يعنى الشهادتين - سهم، والصلاة سهم، والزكاة سهم، والصوم سهم، وحج البيت سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، والجهاد فى سبيل الله سهم، وقد خاب من لاسهم له، وورد موقوفا على حذيفة من كلامه، قال الدررطنى وغيره: وهو أصح أه ...

قلت: كانت أسهم الإسلام ثمانية، على عدد أبواب الجنة وخصت هذه الأسهم بالذكر دون غيرها، لأن الخمسة الأولى أركان الإسلام وقواعده والآمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهما صلاح المجتمع، واستقامة أحواله ولا خير فى مجتمع يخلو من القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانظر كيف لعن الله بني إسرائيل لتفريطهم فى هذا الواجب العظيم، قال تعالى ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة: ٧٨-٧٩) - والجهاد أساس الدين وعصام اليقين، به تدفع غائلة المعتدين وتنال العزة التى كتبها الله للمؤمنين وما هان المسلمون اليوم وامتهنت كرامتهم، وضاع استقلالهم إلا

بتركهم الجهاد فى سبيل الله ، وركونهم إلى الراحة وإقبالهم على مصالحهم الشخصية ولا صلاح يرجى لهم إلا بالرجوع إلى دينهم والعمل على استعادة مجدهم ومكافحة دول الاستعمار، وإزالة عوامل الشر والفساد، نسأل الله أن يلهمنا الرشاد والسداد .

فتح أبواب الجنة فى رمضان

أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : { إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين } . وفى رواية لمسلم { فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين } . غلقت بضم الغين وتشديد اللام المكسورة، وصفدت بضم الصاد وتشديد الفاء المكسورة .

قال عياض : يحتمل أنه على حقيقته، وأن ذلك علامة للملائكة على دخول الشهر وتعظيم حرمة ول منع الشياطين من أذى المؤمنين، ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتح الله لعباده من الطاعات وهى أسباب لدخول الجنة، وتغليق أبواب النار عبارة عن صرف الأهم عن المعاصي الآيلة بأصحابها إلى النار، وتصفيد الشياطين، عبارة عن تعجيزهم عن الإغواء وتزيين الشهوات أه .

وقال التوربشتى فى شرح المصابيح : فتح أبواب السماء كناية عن تنزل الرحمة وإزالة الغلق عن مصاعد أعمال العباد، تارة ببذل التوفيق، وأخرى بحسن القبول وغلقت أبواب جهنم كناية عن تنزه أنفس الصوام عن رجس الفواحش والتخلص من البواعث على المعاصي بقمع الشهوات أه .

ورجح القرطبي وابن المنير وغيرهما أن فتح أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم

وتصفيد الشياطين على ظاهره وحقيقته، وأنه لا ضرورة تدعو إلى تأويله، قال ابن المنير: وأما الرواية التي فيها أبواب الرحمة وأبواب السماء فمن تصرف الرواة، والأصل أبواب الجنة بدليل ما يقابله وهو غلق أبواب جهنم، وقال القرطبي: فإن قيل: نرى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيرا فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك؟

فالجواب: أن المعاصي إنما تقل عن بعض الصائمين، وهم اللذين صاموا صوما حافظو على شروطه وآدابه، أو أن المصفد بعض الشياطين وهم المردة كما جاء في رواية النسائي {وتغل فيه مردة الشياطين} . والمردة هم العتاة والأكثر فسادا . أو أن المقصود تقليل الشرور في رمضان، وهذا أمر مشاهد، فإن وقوع الشرور في أقل منه في غيره، أو أن تصفيد الشياطين أجمعين لا يمنع وقوع الشرور والمعاصي، لأنها تقع بأسباب أخرى كالنفوس الخبيثة. والعادات القبيحة، والشياطين الأنسية التي هي أقوى في بعض الأحيان من الشياطين الجنية .

تنبيه: قال بعض العارفين: تصفيد الشياطين في رمضان إشارة إلى رفع عذر المكلف كأنه يقال له قد كفت الشياطين عنك، فلا تعتل بهم في ترك الطاعة ولا فعل المعصية .

صيام رمضان يكفر الذنوب

أخرج النسائي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال {من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، وذن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه} . ورواه أحمد بزيادة {وما تأخر} وإسناده هذه الزيادة صحيح

أيضا، والحديث فى الصحيحين بدون هذه الزيادة ، قال الخطابي : قوله {إيمانا واحتسابا} أي نية وعزيمة وهو إن يصومه على التصديق والرغبة فى ثوابه ، طيبة به نفسه ، غير كاره له ، ولا مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب أه .

وقال البغوى : قوله {احتسابا} أي طلبا لوجه الله تعالى وثوابه ، يقال : فلان يحتسب الأخبار أي يتطلبها أه .

واختلف فى الذنوب التى يكفرها صوم رمضان هل هي الصغائر والكبائر ؟ أو الصغائر فقط ؟ جزم بالأول ابن المنذر ، وإليه ميل الآبي ، وجزم بالثاني إمام الحرمين ، وعزاه النووي للفقهاء ودليلهم ما رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ فى صحيحه عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ : {الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر} . فقيده تكفير الذنوب فى هذا الحديث باجتناب الكبائر.

قال الحافظ ابن حجر : وهو - أي التكفير المذكور - فى حق من له كبائر وصغائر ، ومن ليس له إلا كبائر خفف عنه منها مقدار ما لصاحب الصغائر ومن ليس له صغائر ولا كبائر يزداد فى حسناته بنظير ذلك أه .

تنبيه : إنما يكفر صوم رمضان الذنوب كلها أو بعضها على الخلاف إذا راعى الصائم حدوده وحافظ على شرائطه لما ثبت عن أبى سعيد الخدرى ؓ عن النبي ﷺ قال {من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ ما ينبغى له أن يتحفظ كفر ما قبله} . رواه ابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى فى السنن .

فضل الجود وتلاوة القرآن في شهر رمضان

فى الصحيحين عن ابن عباس ؓ قال : (كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن) ، ورواه الأمام احمد بزياده فى آخره وهى : لا يسئل عن شي الا أعطاه .

الجود سعة العطاء وكثرته ، والله تعالى يوصف بالجود ، ومن أسمائه الجواد - بفتح الواو المخففة - .

وفى سنن الترمذى عن سعد بن أبى وقاص ؓ عن النبي ﷺ { أن الله جواد يحب الجود كريم يحب الكرم } . وفى الترمذى أيضا عن أبى ذر ؓ عن النبي ﷺ عن ربه تعالى قال { يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فى صعيد واحد فسأل كل إنسان منكم ما بلغت أمنيته ، فأعطيت كل سائل منكم ، ما نقص ذلك من ملكي إلا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه إبره ثم رفعها إليه ، ذلك بآني جواد واجد ماجد أفعل ما أريد ، عطائي كلام وعذابي كلام ، إنما أمري لشي إذا أردت أن أقول له كن فيكون } . وكان النبي ﷺ أجود بنى آدم على الإطلاق كما فى هذا الحديث .

وفى الصحيحين عن أنس ؓ قال كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس ، وكان جوده ﷺ يتضاعف فى رمضان ويزداد ، وذلك لأسباب :

إحداها : أن شهر رمضان موسم الخيرات لأن نعم الله على عباده فيه زائدة على غيره ، فكان النبي ﷺ يوتر متابعة سنة الله فى عباده .

ثانيها : أن الصدقة فى رمضان أفضل منه فى غيره لما جاء فى سنن

الترمذى وغيره عن أنس عن النبي ﷺ {أفضل الصدقة صدقه فى رمضان} .

ثالثهما: إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعتهم فيستوجب ذلك مثل أجرهم، لما جاء فى سنن الترمذى والنسائى وابن ماجه عن زيد بن خالد الجهنى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: {من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء} . وفى رواية للنسائى وابن خزيمة فى صحيحه {من جهز غازيا أو جهز حاجا أو خلفه فى أهله أو فطر صائما كان له مثل أجورهم من غير ان ينقص من أجورهم شيء} .

رابعها: إن شهر رمضان شهر المواساة والتعاون والمساعدة، لما رواه ابن خزيمة والبيهقى عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان قال: {يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزداد رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبة من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء} . قالوا: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، فقال رسول الله ﷺ: {يعطى الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له واعتقه من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بهما ريكم وخصلتان لا غناء بكم عنهما فأما الخصلتان اللتان لترضون بهما ريكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعودون به من النار، ومن سقى صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة} .

فلهذه الأسباب وغيرها كان جوده ﷺ يتضاعف في رمضان، وينبغي لنا بل ويتأكد في حقنا أن نقتدى به ﷺ في فعل الخير وكثرة الجود في هذا الشهر العظيم المبارك، لقد كان لكم في رسول الله قدوة حسنة، وأما تلاوة القرآن في شهر رمضان فلها فضل كبير بل يؤخذ من هذا الحديث، كما قال النووي: أنها أفضل من سائر الأذكار، إذ لو كان ذكر أفضل منها أو يساويها لفعله النبي وجبريل صلي الله عليهما وسلم بدلا من مدارس القرآن، وكان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها، وكان الأسود يقرأ القرآن في كل ليلتين في رمضان، وكان النخعي يقرأ القرآن في كل ثلاث ليال في رمضان، وفي العشر الأواخر يقرأه في كل ليلتين وكان قتاده يختم القرآن في سبع ليال دائما وفي رمضان في كل ثلاث ليال وفي العشر الأواخر منه في كل ليلة وكان يدرس القرآن في شهر رمضان، وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام.

وقال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، ويقبل على قراءة القرآن من المصحف.

وقال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على تلاوة القرآن.

وكان للشافعي ستون ختمة يقرأها في غير الصلاة، وكذلك أبو حنيفة.

وقال سفيان: كان زبيد الياامي إذا حضر رمضان أحضر المصاحف وجمع إليه أصحابه.

وكانت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تقراء في المصحف أول النهار في شهر رمضان، فإذا طلعت الشمس نامت.

والمقصود أن شهر رمضان شهر القرآن ينبغي الإكثار فيه من التلاوة بقدر الإمكان، ومن الحكمة فى ذلك أن ينضم القرآن إلى الصيام فى الشفاعة للعبد يوم القيامة، لما جاء فى المسند عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: {الصيام والقرآن شفيعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أى رب منعته الطعام والشراب بالنهار، فشغفني فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشغفني فيه، فيشفعان} صححه الحاكم .

ما أعطته هذه آلامه فى شهر رمضان

اخرج البيهقى عن جابر بن عبد الله ؓ أن رسول الله ﷺ قال: {أعطيت أمتي فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ينظر الله ﷻ إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا وأما الثانية، فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم وليلة، وأما الرابعة فإن الله ﷻ يأمر جنته فيقول لها استعدى وتزيني لعبادي أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دارى وكرامتي، وأما الخامسة فإنه إذا كان فى آخر ليلة غفر الله لهم جميعا} . فقال رجل من القوم: أهى ليلة القدر؟ فقال: {لا ألم تر إلى العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم} .

وروى أحمد والبزار والبيهقى نحوه من حديث أبى هريرة، هذه خمس خصال أكرم الله بها الصائمين من أمة النبي ﷺ فى شهر رمضان .

أولها: نظر الله إليهم فى أول ليلة نظرة عناية ورحمة، ومن نظر الله إليه كذلك لم يعذبه أبدا .

ثانيها: خلوف أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك، والخلوف بضم الخاء وفتحها تغيير رائحة الفم لما يحدث من خلو المعدة بترك الأكل، ومعنى كونه أطيب عند الله من ريح المسك أن الله يثيب عليه فى الآخرة حتى تكون له رائحة أطيب من ريح المسك، وقيل ينال الصائم من الثواب ما هو أفضل من ريح المسك عندنا .

وأخذ الشافعي من هذا الحديث ونحوه كراهة السواك للصائم بعد الزوال لأن السواك يذهب الخلوف الذي هو أطيب عند الله من ريح المسك، وأجازه مالك طوال النهار للصائم لأن الخلوف لو كان من المعدة فالسواك لا يذهبه، وأيضا فإن المقصود من مدح الخلوف الثناء على الصوم وبيان مزيته . وليس المقصود نفس الخلوف فذهابه وبقائه سواء .

ويؤيد مذهب المالكية ما رواه الطبراني بإسناد جيد عن عبد الرحمن بن غنم - بفتح الغين وسكون النون - قال سألت معاذ بن جبل أتسوك وأنا صائم ؟ قال : نعم قلت : أى النهار ؟ قال : غدوة أو عشية قلت : إن الناس يكرهونه عشية ، ويقولون أن رسول الله ﷺ قال : { لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك } . قال : سبحان الله لقد أمرهم بالسواك وما كان بالذي يأمرهم أن ييبسوا أفواههم عمدا ، وما فى ذلك من الخير شيء بل فيه شر ..

ثالثها: استغفار الملائكة لهم، واستغفار الملائكة للمؤمنين ثابت بنص القرآن فى قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (غافر: ٧-٩) .

والحكمة فى استغفار الملائكة للمؤمنين أنهم حين تكلموا فى بنى آدم
﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ
لَكَ ﴾ (البقرة: ٣٠) أمرهم الله بالاستغفار للمؤمنين منهم جبرا لما وقع ، ففيه تنبيه
على أن من تكلم عن غيره أن يستغفر له ، ثم أن استغفار الملائكة للصائمين
استغفار خاص يدل على مزيد العناية بهم .

رابعها: تزيين الجنة وإعدادها طوال شهر رمضان لاستقبال الصائمين
القائمين .

خامسها: مغفرة الله لهم ليلة العيد حين ينتهون من أداء صوم رمضان
وقيامه ويكبرون الله على ما هداهم إليه من نعمة الصيام والقيام ، وقد جاء فى
حديث ضعيف عن ابن عباس عن النبي ﷺ { إن ليلة عيد الفطر تسمى ليلة
الجائزة } . وذلك لأن الله يجزل العطاء للصائمين غداة العيد ، ويشملهم بعفوه
وستره ورضاه

وهناك خصال أخرى غير هذه الخمس أكرم الله بها الأمة المحمدية فى
رمضان منها:

١- عتق ناس من النار عند كل إفطار لما رواه أحمد والطبرانى والبيهقى عن
أبي أمامة ؓ عن النبي ﷺ قال { لله عند كل فطر عتقاء } . وفى مسند البزار عن
أبي سعيد الخدرى ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : { إن لله تبارك وتعالى عتقاء فى
كل يوم وليلة - يعنى فى رمضان - وأن لكل مسلم فى كل يوم وليلة دعوه
مستجابة } . وفى سنن الترمذى وابن ماجه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :
{ إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب
النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادى مناد
يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة } .

والصحيح أن عدد العتقاء غير مقيد بعدد معين وجاء تحديده في بعض الأحاديث بستمائة ألف، وفي بعضها بستين ألفاً، وفي بعضها بألف ألف ولكن تلك الأحاديث ضعيفة مضطربة لا يصح الاعتماد عليها .

(تنبيه): شرط من يعتقه الله في رمضان إلا يفطر على محرم فإن أفطر على محرم لم يكن له في الإعتاق نصيب ، لما جاء في معجم الطبراني الصغير عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: { أن لله عتقاء في كل ليلة من شهر رمضان إلا رجلاً أفطر على خمر } .

ومنها: فتح أبواب الجنة، وإغلاق أبواب جهنم، وتصفيد الشياطين، وقد تقدم الكلام عليها قريباً .

ومنها: استجابة الدعاء: روى الطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوماً وحضر رمضان: { أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ويباهي بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله ﷻ } .

وفي المسند، وسنن ابن ماجه، والترمذى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: { ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب: ﴿ وعزتي لا نصرنك ولو بعد حين ﴾ } . حسنه الترمذى وصححه ابن حبان، ولفظ رواية الترمذى { الصائم حتى يفطر } . والباقي سواء .

وفي سنن البيهقي بإسناد فيه ضعف عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: { إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد } . وكان عبد الله بن عمرو يقول عند فطره: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي ذنوبي

باب الريان للصائمين

فى الصحيحين وغيرهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: {إن فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد} . أكرم الله الصائمون فجعل لهم بابا فى الجنة خاصا بهم لا يزاحمهم فيه غيرهم، وتلك مزية تدل على ما للصوم من الفضل عند الله تعالى .

الصوم جنه ووقاية

ثبت فى الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: {قال الله ﷻ كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة - بضم الجيم -، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه} .
اختلف العلماء فى معنى قوله تعالى {الصيام لي وأنا أجزي به} . مع أن الأعمال كلها لله ﷻ وهو الذي يجزي بها، وذهبوا إلى تأويل ذلك إلى مذاهب :

منها: أن الصيام لا يقع فيه رياء لأنه نية وإمساك، هذا رأى أبي عبيد، ويؤيده ما رواه البيهقي فى الشعب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: {الصيام لا رياء فيه} قال الله ﷻ {هو لي وأنا أجزي به} إسناده ضعيف، ولو صح لكان قاطعا للنزاع كما قال الحافظ، ومعنى أن الصوم لا رياء فيه أنه لا يدخله الرياء بفعله لأنه لا يطلع عليه غير الله تعالى بخلاف غيره من الطاعات يدخل فى فعلها

الرياء لأنها أعمال تشاهد كالصلاة ونحوها، نعم قد يدخل الصوم من جهة الإخبار عنه كمن يصوم ثم يخبر الناس أنه كان صائما كما يحكى عن بعض المغفلين أنه كان كثير الصلاة فبينما هو يتنقل فى بعض مساجد الكوفة والناس يعجبون من كثرة صلاته وحسنها إذا التفت وقال لهم وأنا مع ذلك صائما، فالصيام قد يدخله الرياء من جهة التحدث عنه لا من جهة فعله .

ومنها: أن الإضافة فى قوله {الصيام لي} للتشريف والتعظيم كما يقال: المسجد بيت الله وإن كانت البيوت كلها لله .

ومنها: أن الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب ﷻ، فلما تقرب الصائم إليه بما يوافق صفة من صفاته، أضافه إليه . قال القرطبي: معناه أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصيام فإنه مناسب لصفه من صفات الحق، كأنه يقول: إن الصائم يتقرب إلى بأمر يتعلق بصفة من صفاتي ^(١) .

ومنها: أن معنى توله {وانا أجرى به} أنى انفراد بعلم مقدار ثوابه . وتضعيف حسناته، قال القرطبي: معناه أن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر: ١٠) . والصابرون الصائمون فى أكثر الأقوال، والصوم صبر لأن الصائم يصير نفسه ويحبسها عن سائر الشهوات، وهذا رأى سفيان بن عيينة وأبى عبيد .

هذا بعض ما اخترناه فى تأويل هذه الجملة من الحديث، وقد استقصى أبو بكر الطالقانى فى كتاب (حظائر القدس) وجوه التأويلات فيه فأوصلها إلى بضعة وخمسين، ومعنى قوله {والصيام جنة} أى وقاية وستر من النار قال ابن العربي

(١) ومنها: أن الصوم لم يعبد به إلا الله تعالى فإن المشركين تقربوا لألهتهم بركوع أو سجود أو تضرع ودعاء أو تقديم قربان ولم يتقرب أحد منهم بصوم لألهته، فمعنى قوله الصوم لي أنه لم يعبد به غيري .

إنما كان الصوم جنة من النار لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات، فمن كف نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساترا له من النار في الآخرة، ولكون الصيام جنة، والجنة تنخرق بالمعاصي عقب بقوله {فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث} . بضم الفاء أى يتكلم بكلام فاحش {ولا يجهل} أى لا يفعل فعل الجاهل، من الصياح والسفه ونحو ذلك، وفى رواية {ولا يصخب} بالصاد والسين، وفتح الخاء، والصخب: الصياح وهو من فعل الجاهل أيضا .

وفى رواية الطبري {ولا يسخر} وهى صحيحة فى المعنى^(١) لأن السخرية بالقول أو الفعل جهل لقوله {فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم إنى صائم} وفى رواية سعيد بن منصور {فإن سابه أحد أو ماراه} أى جادله .

وفى رواية النسائي من حديث عائشة {وإن امرؤ جهل عليه فلا يشتمه ولا يسبه} . والمقصود من هذه الروايات ابتعاد الصائم عن كل ما يوقعه فى الإثم .

واختلف: هل يقول: إنى صائم بلسانه ويخاطب بها خصمه؟ أو يقولها فى نفسه؟ جزم بالثاني المتولي من أئمة الشافعية، ونقله الرافعى عن الأئمة، ورجح النووي الأول فى الأذكار، وقال فى شرح المذهب: كل منهما حسن، والقول باللسان أقوى، ولو جمعهما لكان حسنا أهـ .

للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره، أى فرح بزوال جوعه وعطشه، وهذا الفرح طبيعى أو فرح بفطره من حيث إنه تمام صومه، وخاتمة عبادته، ومعونة على مستقبل صيامه، ففرح كل واحد بحسبه {وإذا لقي ربه فرح بصومه} أى فرح بجزاء صومه وثوابه الذى يجده عند ربه ﷻ .

(١) وأن لم تصح رواية .

تنبيهه: أخذنا الحافظ ابن عبد البر من كون الصيام جنة من النار ترجيحه على سائر العبادات ويؤيده ما رواه النسائي وابن خزيمة عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله مرني بعمل، قال: {عليك بالصوم فإنه لا عدل له} بكسر العين، قلت: يا رسول الله مرني بعمل، قال: {عليك بالصوم فإنه لا مثيل له} قلت: يا رسول الله مرني بعمل، قال: {عليك بالصيام فإنه لا مثيل له}.

ورواه ابن حبان في صحيحه في حديث قال: قلت يا رسول الله دلني على عمل أدخل به الجنة قال: {عليك بالصوم فإنه لا مثيل له} قال: وكان أبي أمامة لا يرى في بيته الدخان نهارا ألا إذا نزل بهم ضيف، وهو حديث صحيح، قال الحافظ ابن حجر: والمشهور عند الجمهور ترجيح الصلاة.

قلت: ويكفي دليلا على ترجيحها أنها فرضت ليلة المعراج والنبى ﷺ في سدة المنتهى، على أن عبارة ابن البر ليست صريحة في ترجيح الصوم على الإطلاق والله اعلم.

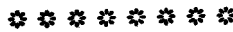
متى يكون الصوم جُنة ؟

تقدم أن الصيام جنة من النار، لكنه لا يكون كذلك إلا إذا سلم من آفات اللسان وغيرها من المعاصي كما جاء مبينا في عدة أحاديث، ففي المسند عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه عن النبي ﷺ: {الصيام جنة ما لم يخرقها} . زاد الدارمي في روايته بالغيبة وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: {من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه} .

وفي المعجم الصغير للطبراني عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: {من لم يدع الخنا والكذب فلا حاجة لله أن يدع طعامه وشرابه} .

وفي المعجم الأوسط للطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {الصيام جنة ما لم يخرقها} قيل وبما يخرقها ؟ قال {بكذب أو غيبة} .

فبينت هذه الأحاديث أن الصيام الذي لا يسلم صاحبه من كذب أو غيبة أو قول زور أو نحو ذلك من المعاصي لا يكون مقبول عند الله، وبالتالي لا يكون جنة لصاحبه من النار..



قصة الصائمتين اللتين اغتابتا الناس

أخرج أحمد وابن أبي الدنيا وأبو يعلى عن عبيد مولى رسول الله ﷺ أن امرأتين قد صامتا، وأن رجلا قال يا رسول الله أن هاهنا امرأتين قد صامتا وأنهما قد كادتا أن تموتا من العطش، فأعرض عنه أو سكت ثم عاد - وأراه قال بالهاجة يعني وقت الظهر- قال يانبي الله إنهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا قال {ادعهما} قال: فجاءتا قال: {فجىء بقدر أو عُس} - بضم العين وتشديد السين - قدح

كبير، فقال لأحدهما {قئ} فقاءت قيحا ودما وصديدا ولحما حتى ملأت نصف القدح، ثم قال للأخرى {قئ} فقاءت من قيح ودم وصديد ولحم عبيط - بفتح العين أى طرى - وغيره حتى ملأت القدح، ثم قال {إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان من لحوم الناس} .

ورواه أبو داود الطيالسى فى المسند وابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة والبيهقى عن أنس قال: أمر النبي ﷺ الناس بصوم يوم وقال: {لا يفطر أحد منكم حتى آذن له} فصام الناس حتى إذا أمسوا فجعل الرجل يجئ، فيقول يا رسول الله إنى ظلمت صائما فأذن لي فأفطر فيأذن له، حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من اهلك ظلتا صائمتين وأنهما تستحيان أن تأتيك فأذن لهما فلتفطرا فأعرض عنه، ثم عاوده فأعرض عنه، ثم عاوده فأعرض عنه، ثم عاوده فأعرض عنه، فقال: {إنهما لم تصوما وكيف صام من يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما وأن كانت صائمتين فليستقيا} فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة علقه من دم، فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال {والذي نفس محمد بيده لو بقيتا فى بطونهم لآكلتهما النار} .

وقد أخذ الإمام الأوزاعى بهذا الحديث والذي قبله فقال: إن الغيبة تفطر الصائم وتوجب عليه قضاء ذلك اليوم .

وحكى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وعن إبراهيم النخعى شيخ أبى حنيفة قال: كانوا يقولون الكذب يفطر الصائم وذهب ابن حزم إلى أن كل معصية كيفما كانت تبطل الصوم وتفسده، لكن الجمهور يرون أن المعاصي من غيبة وغيرها إنما تبطل ثواب الصوم وتذهب فائدته المترتبة عليه من قبول الدعاء وغفران الذنوب، وكفى بهذا خزيا وحرمانا، ولهذا حض السلف على صيانة الصوم وحفظه من الآفات .

فروى عن ابن أبي شيبه عن عمر بن الخطاب ؓ قال: ليس الصيام من الشراب والطعام وحده، ولكنه من الكذب، والباطل واللغو، وروى أيضا عن على كرم الله وجهه، مثله .

وروى أيضا عن جابر بن عبد الله ؓ قال: إذا صمت فليصم سمعك، وبصرك ولسانك عن الكذب والمأثم ودع أذى الخدم وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء . وقال أبو ذر ؓ: إذا صمت فتحفظ ما استطعت وكان أبو هريرة وأصحابه إذا صاموا جلسوا في المسجد وقالوا: نظهر صيامنا وقال ميمون بن مهران: أهون الصوم ترك الطعام والشراب .

مضاعفة الحسنات والسيئات في رمضان

ولا شك أن الحسنات والسيئات تضاعف بحسب الشخص والزمان والمكان، فالحسنة في نفسها حسنة ولكنها من رجال الدين وأهل الحكم أحسن، والسيئة في نفسها سيئة ولكنه ممن يقتدي به أسوأ وكذلك بالنسبة للمكان والزمان، ولهذا كانت الحسنات والسيئات في شهر رمضان مضاعفة لحرمة هذا الشهر العظيم .

ففي معجم الطبراني الأوسط والصغير عن أم هانئ بنت أبي طالب رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: {أن أمتي لم يخزوا ما أقاموا شهر رمضان} . قيل يا رسول الله وما خزيهم في إضاعة شهر رمضان؟ قال: {انتهاك المحارم فيه من زنى فيه أو شرب فيه خمر لعنه الله ومن في السماوات إلى مثله من الحول فان مات قبل أن يدركه رمضان لم تبق له عند الله حسنة يتقى بها النار، فاتقوا شهر رمضان فإن الحسنات تضاعف فيه مالا تضاعف فيما سواه وكذلك السيئات} .

الصيام على أنواع

نقل ابن العربي المعافى عن بعض الزهاد أن الصوم على أربعة أنواع:

صيام العوام: وهو الصوم عن الأكل والشرب والجماع .

وصيام خواص العوام: وهو هذا مع اجتناب المحرمات من قول أو فعل .

وصيام الخواص: وهو الصوم عن غير ذكر الله تعالى وعبادته .

وصيام خواص الخواص: وهو الصوم عن غير الله تعالى فلا فطر لهم إلى يوم القيامة وهذا النوع الأخير أحد ما أول به قوله في الحديث القدسي السابق ((الصوم لي وأنا أجزي به)) . أى صوم خواص الخواص لأنه صيام عن جميع الكائنات وفطر على مشاهدة خالقها يوم القيامة، وهذا مقام عال كما قال الحافظ فلا ينبغي حصر المراد من الحديث فيه لندرة وقوعه، وإنما يؤخذ من الحديث بطريق الإشارة، ولعل قائله أراد ذلك لأنه منقول عن بعض الزهاد والله اعلم .

المحروم من حرم خير رمضان

أخرج الحاكم عن كعب بن عجرة - بفتح العين وسكون الجيم - رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: {احضروا المنبر} فحضرنا فلما ارتقى درجة قال: آمين، فلما ارتقى الثانية قال: آمين، فلما أرتقى الثالثة قال: آمين، فلما نزل قلنا يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه قال: {إن جبريل عرض لي فقال: بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له قلت آمين، فلما رقيت الثانية، قال: بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين، فلما رقيت الثالثة قال بعد من أدرك أبويه الكبير عنده أو إحداهما فلم يدخله الجنة قلت آمين} صححه الحاكم وله

طرق وألفاظ ومعنى (بعد) أبعد الله كما جاء فى رواية أخرى ، ومن أبعد الله دخل النار ومعنى قوله (أدرك رمضان فلم يغفر له) أنه قصر فى هذا الشهر بارتكاب المخالفات ولم ينهم توبة حتى انتهى رمضان ولم يغفر له بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك ، وفى رواية { ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعد الله } وهذا يقتضى وجوب الصلاة عليه إذا ذكر اسمه وهو كذلك فإن تكرر ذكر اسمه فى المجلس مرات كفت الصلاة عليه أول مرة وقوله { بعد من أدرك أبويه الكبير - بكسر الكاف وفتح الباء وضم الراء - عنده أو إحداهما - بفتح الدال - فلم يدخله الجنة } معناه أنه قصر فى حق والديه الكبيرين ولم يبرهما فاستحق البعد ودخول النار ، نسأل الله السلامة والعافية .

فضل السحور

فى الصحيحين وغيرهما عن أنس بن مالك ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : { تسحروا فإن فى السحور بركة } - السحور بفتح السين وبضمها - وتوجيه ما فيه من البركة أنه اتباع للسنة ، ومخالفة لأهل الكتاب ويقوى على العبادة .

وفى صحيح مسلم عن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ { فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور } يعنى أن السحور هو الفارق بين صيامنا وصيام أهل الكتاب لأن الله أباح لنا ما حرم عليهم ومخالفتنا لهم تقع موقع الشكر على تلك النعمة .

وفى المسند بإسناد قوى عن أبى سعيد الخدرى ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : { السحور كله بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة ماء فإن الله ﷻ وملائكته يصلون على المتسحرين } . صلاة الله على عبده رحمته إياه ، وصلاة الملائكة دعاء واستغفار .

تنبيهات

الأول: ينبغي تأخير السحور وتعجيل الفطر وأن يكونا على تمر، أو فيهما تمر، لما ورد في ذلك من الأحاديث، ففي الصحيحين عن سهل بن سعد ؓ أن رسول الله ﷺ قال: { لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر } .

وفى مسند أبي يعلى عن أنس قال: (ما رأيت رسول الله ﷺ قط صلى المغرب حتى يفطر ولو على شربة من ماء)، صححه ابن خزيمة وابن حبان .

وفى أوسط معاجم الطبراني بإسناد صحيح عن ابن عباس ؓ . قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: { إنا معشر الأنبياء أمرنا أن نعجل فطرنا وأن تؤخر سحورنا وأن نضع أيماننا - بفتح الهمزة - على شمالكنا في الصلاة } . فالسحور من سنن الأنبياء أعطاه الله لهذه الأمة إكراما لنبيها ﷺ .

وفى سنن أبي داود عن أبي هريرة إن رسول الله ﷺ قال: { نعم سحور المؤمن التمر } صححه أبي حبان .

وفى سنن أبي داود الترمذي وابن ماجه عن سلمان ابن عامر الضبي ؓ عن النبي ﷺ قال: { إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فانه بركة فإن لم يجد تمرا فالماء فانه طهور } صححه الترمذي وابن حبان .

وفى مسند أبي يعلى عن أنس قال: كان النبي ﷺ يحب أن يفطر على ثلاث تمرات .

الثاني: طعام السحور إذا كان حلال من النعيم الذي لا يحاسب عليه لما روى البزار الطبراني في الكبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: { ثلاثة ليس عليهم حساب فيما أطلعوا إن شاء الله تعالى إذا كان حلالا، الصائم . والمتسحر . والمرابط في سبيل الله } . في إسناده ضعيف .

الثالث: ينبغي للصائم عند إفطاره أن يقول: ما ورد في ذلك ففي سنن أبي داود والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال كان النبي ﷺ إذا أفطر قال: {ذهب الظماء وابتلت - بتشديد اللام - العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى} .

وفى أوسط معاجم الطبراني عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا أفطر قال: {بسم الله اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت} ورواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس وزاد في آخره {فتقبل مني إنك أنت السميع العليم} .
وروى ابن السني عن معاذ بن زهرة كان النبي ﷺ إذا أفطر قال {الحمد لله الذي أعانني فصمت ورزقني فأفطرت} .

هذه جملة أذكار وارده يختار الصائم منها ما يشاء، فإن شاء أن يجمعها كلها فليقل {بسم الله الحمد لله الذي أعانني فصمت ورزقني فأفطرت، اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت، فتقبل مني إنك أنت السميع العليم، ذهب الظماء وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى} .

وتقدم إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد فلا ينسى أن يدعو بما شاء من الخير .

قيام رمضان

في الصحيحين عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: {من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه} لاختلاف أن قيام رمضان مندوب وليس بواجب كما ثبت في الصحيحين وغيرهما .

عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن

يأمرهم بعزيمة ثم يقول {من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه} . ثم اختلف بعد ذلك هل فعله في البيت أفضل أو في المسجد؟ فاستحب مالك أن يكون في البيت لحديث {صلاة أحدكم في بيته أفضل إلا المكتوبة} ولأنه أحوط لسلامة النية، واستحب غيره أن يكون في المسجد لأنه فعله ﷺ ولأن عمر استحسنته حين رأى الناس عليه، قال الليث بن سعد: لو أقامه الناس في البيوت وعطلوا المساجد منه أجبروا على الخروج لأن قيام رمضان من الأمر الذي لا ينبغي تركه، وبكونه في المسجد أفضل، أخذ أحمد والحنفية وابن عبد الحكم من أئمة المالكية واختلف فيه أصحاب الشافعي .

قيامه ﷺ بالناس في رمضان

في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج من جوف الليل فصلى في المسجد - تعنى في رمضان كما في رواية البخاري - فصلى رجلاً بصلاته فأصبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع أكثر منهم فخرج رسول الله ﷺ في الليلة الثانية فصلوا بصلاته فأصبح الناس يذكرون ذلك فكثر أهل المسجد في الليلة الثالثة فخرج فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فطلق منهم رجال يقولون: الصلاة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ حتى خرج لصلاة الفجر فلما قضى صلاة الفجر أقبل على الناس ثم تشهد فقال {أما بعد فإنه لم يخف على شأنكم الليلة ولكنى خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها} .

يؤخذ من هذا الحديث استحباب قيام رمضان جماعة في المسجد وإنما تركه ﷺ وفقاً بأمره لئلا يفرض عليهم وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم كما قال عنه خالقه ومولاه .

قال الزهري فتوفى رسول الله ﷺ والناس على ذلك - أى على ترك الجماعة فى القيام - ثم كان الأمر على ذلك فى خلافة أبى بكر وصدرا من خلافة عمر ؓ قال عبد الرحمن بن عبد - بالتنوين - القاري خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة فى رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلى الرجل لنفسه ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط، فقال عمر: إنى أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبى بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر: نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله، وهذا بدء اجتماع الناس على صلاة القيام فى المسجد .

عدد ركعات صلاة القيام

ثبت فى الصحيحين عن السيدة عائشة رضى الله عنها - وقد سألتها أبو سلمة ابن عبد الرحمن - كيف كانت صلاه رسول الله ﷺ فى رمضان ؟ فقالت : (ما كان يزيد فى رمضان ولا غيره عن إحدى عشر ركعة، يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلى ثلاثا، فقلت يا رسول الله: أتنام قبل أن توتر ؟ قال: {يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي} .

وأخرج ابن أبى شيبه الطبرانى عن ابن عباس ؓ قال: كان رسول الله ﷺ يصلى فى رمضان عشرين ركعة والوتر، إسناده ضعيف قلل الحافظ: وقد عارضه حديث عائشة هذا المخرج فى الصحيحين مع كونها أعلم بحال النبي ﷺ ليلا من غيره أهـ .

قلت: ويعارضه أيضا ما رواه أبي يعلى الطبراني في الصغير عن جابر رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ في شهر رمضان ثمان ركعات و أوتر ، فلما كانت القابلة اجتمعنا في المسجد ورجونا أن يخرج إلينا فلم ينزل فيه حتى أصبحنا ثم دخلنا فقلنا يا رسول الله اجتمعنا في المسجد ورجونا أن تصلي بنا قال {إني خشيت أو كرهت أن تكتب عليكم} . في إسناده ضعف .

والمقصود: أنه لم يصح عن النبي ﷺ أنه صلى في رمضان أكثر من ثمان ركعات غير الوتر، فمن اقتصر عليها في قيامه فهو أفضل، ومن زاد عليها فلا حرج، لأن الشرع لم يمنع من الزيادة على ثمان ركعات، لأنه ثبت عن السلف صلوا عشرين ركعة وأكثر وأقل .

فعن داود بن قيس قال أدركت الناس في إمارة أبان ابن عثمان، وعمر بن عبد العزيز - يعنى في المدينة - يقومون بستة وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث، وقال مالك: هو الأمر القديم عندنا، وعن الزعفراني عن الشافعي قال: رأيت الناس بالمدينة يقومون بتسع وثلاثين، وبمكة بثلاث وعشرين وليس في شيء من ذلك ضيق، وعن نافع قال: لم أدرك الناس إلا وهم يصلون تسعا وثلاثون ويوترون منها بثلاث، وعن زرارة بن أوفى أنه كان يصلى بهم في البصرة أربعاً وثلاثين ويوتر، وعن سعيد بن جبير أربعاً وعشرين وقيل ست عشر غير الوتر وعلى هذا جرى العمل عندنا في المغرب يصلون بعد العشاء ثمان ركعات جماعة في المسجد ثم يعودون بعد السحور فيصلون ثمانية أخرى ويوترون بثلاث .

وقال الترمذي أكثر ما قيل فيه أنها تصلى إحدى وأربعين ركعة يعنى بالوتر أهـ .

وعن السائب بن يزيد قال: كنا نصلى زمن عمر في رمضان ثلاث عشرة ركعة، قال ابن إسحاق هذا أثبت ما سمعت في ذلك أهـ .

قال الحافظ: وهو موافق لحديث عائشة في صلاة النبي ﷺ من الليل أهـ .
والله اعلم .

ليلة القدر

سميت ليلة القدر لتقدير الله تعالى فيها ما يكون في تلك السنة من الأرزاق والآجال وغير ذلك، والمراد بقوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴾ فيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا ﴿ (الدخان: ٣-٥) . وذهب الروافض إلى أن ليلة القدر رفعت ولم يعد لها وجود ولكن الذي اجمع عليه أهل السنة أنها باقية مستمرة إلى يوم القيامة، وإنما رفع تعيينها لا غير، وقد روى عبد الرزاق عن عبد الله بن يخنس قال: قلت لأبي هريرة: زعموا أن ليلة القدر رفعت، قال كذب من قال ذلك .

وروى عن عبد الله بن شريك قال: ذكر الحجاج ليلة القدر فكأنه أنكرها، فأراد زر بن حبيش أن يحصبه - أي يرميه بالحصباء - فمنعه قومه .

متى تكون ليلة القدر

اختلف العلماء في تعيين ليلة القدر وفي أي ليلة تكون ؟ وذهبوا في ذلك مذاهب شتى وصلت إلى بضعة وأربعين مذهبا كل مذهب استدل صاحبه إلى ما ترجح عنده . واقرب الأقوال أنها في رمضان وفي العشر الأواخر وإنها ليلة سبع وعشرين، وهو مذهب جماعة من الصحابة منهم أبي بن كعب وعمر وابنه و

حذيفة وهو الجادة من مذهب أحمد ورواية عن أبي حنيفة، وقول أكثر العلماء .

علامة ليلة القدر

فى صحيح مسلم عن زر بن حبيش قال سمعت أبى بن كعب يقول وقيل له إن عبد الله بن مسعود يقول من قام السنة أصاب ليلة القدر: والله الذي لا إله إلا هو إنها لفى رمضان . يحلف ما يستثنى . والله إنى لا أعلم أى ليلة هي ؟ هي الليلة التى أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، هي ليلة صبيحة سبع وعشرين . وإمارتها أن تطلع الشمس فى صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها وعدم شعاعها قيل لأن الملائكة عليهم السلام حجبته بكثرة اختلافهم فى النزول والصعود تلك الليلة بكل أمر حكيم وبالثواب والأجور، قاله الآبى .

وفى صحيح مسلم أيضا عن أبى هريرة قال تذاكرنا ليلة القدر عند رسول الله ﷺ فقال: {أيكم يذكر حين طلع القمر وهو مثل شق جفنة ؟} . قال أبو الحسن القابسى: أى ليلة سبع وعشرين فان القمر يطلع فيها بتلك الصفة . وأخرج البزار عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: {ليلة القدر ليلة طلقة لا حارة ولا باردة} .

وفى المسند بإسناد رجاله ثقات عن عبادة بن الصامت ؓ أن رسول الله ﷺ قال {ليلة القدر فى العشر البواقي من أقامهن ابتغاء حسبتهن فإن الله تبارك وتعالى يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهى ليلة وتر تسع أو سبع أو خمسة أو ثلاثة أو آخر ليلة} . وقال رسول الله ﷺ: {إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة كأن فيها قمر ساطعا ساكنة لأبرد فيها ولا حر ولا يحل لكوكب يرمى فيها حتى

يصبح وإن إمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر، لا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ بلجة مشرقة { .

استنباط ابن عباس تعيين ليلة القدر

زعم ابن قدامة أن ابن عباس استنبط تعيين ليلة القدر من عدد كلمات السورة، وأن كلمة (هي) من قوله (سلام هي) سابع كلمه بعد العشرين من قوله (إنا أنزلناه) الخ، فتكون ليلة القدر ليلة سبع وعشرين، ونقله ابن حزم عن بعض المالكية وبالع في إنكاره، وقال ابن عطية: أن هذا من ملح التفسير وليس من متين العلم، واستنبط بعضهم ذلك من جهة أخرى فقال: ليلة القدر تسعة أحرف وقد أعيدت في السورة ثلاث مرات فذلك سبع وعشرون أهـ .

وهذه الاستنباطات ليست من العلم في شيء، ولم يصح ما نقل منها عن ابن عباس ولا غيره والمعروف أن استنباط المعاني من عدد الحروف والكلمات بحساب الجمل الكبير والصغير عادة يهودية، تلقاها، أصحاب الطوائف وضاربو الرمل وبنو عليها قواعد علمهم الكاسد، ثم اعتمدها في هذا الزمان طوائف كافرة مثل البهائية لعنهم الله وجعلوها أس استدالاتهم، وتطب رحي استنباطهم وهي في الواقع لا تسمن ولا تغنى من جوع .

نعم استنبط ابن عباس ليلة القدر بطرق أخرى، فروى عبد الرازق الطبراني وغيرهما عن ابن عباس قال: دعا عمر أصحاب رسول الله ﷺ فسألهم عن ليلة القدر فأجمعوا على أنها في العشر الأواخر، قال ابن عباس: فقلت لعمر إنى لأعلم أو أظن إي ليلة هي ؟ فقال: أي ليلة هي ؟ فقلت: سابعة تمضى أو سابعة تبقى من العشر الأواخر، فقال عمر من أين علمت ذلك ؟ قلت خلق الله سبع سماوات

وسبع أرضين وسبعة أيام وأن الشهر يدور على سبع وخلق الإنسان من سبع ويأكل من سبع ويسجد على سبع والطواف بالبيت سبع ورمى الجمار سبع، وأشياء ذكرها فقال عمر: لقد فطنت لأمر ما فطنا له، وكان قتاده يزيد عن ابن عباس في قوله ويأكل من سبع قال: هو قول الله تعالى ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا﴾ (عبس ٢٧-٢٨) الآية .

قال الحافظ ابن كثير: إسناده جيد قوى ولكن المتن غريب جدا أهـ .

قلت: يعنى أن فى هذه القصة غرابة ونكارة وهو كذلك فالله أعلم بصحة هذا الكلام عن ابن عباس .

تنبيه: قال صاحب الكافي والمحيط من الحنفية: من قال لزوجہ أنت طالق ليلة القدر، طلقت ليلة سبع وعشرين لأن العامة تعتقد أنها ليلة القدر .

قصة المتخاصمتان التى بسببها رفع تعيين الليلة

فى الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال: خرج النبى ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال {خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة} . وفى رواية لمسلم {فجاء رجلان يختصمان معهما الشيطان} . وفى رواية ابن إسحاق أنه ﷺ لقيهما عند سدة المسجد فحجزا بينهما فكانت المخاصمة والملاحاة شؤما على ألامه حيث رفع بسببهما تعيين الليلة والله أعلم .

هل علمها النبي بعد نسيانها ؟

روى محمد بن نصر عن واهب المغافرى أنه سأل زينب بنت أم سلمة : هل كان رسول الله ﷺ يعلم ليلة القدر ؟ قالت لا ، لو علمها لما أقام الناس غيرها أه . قال الحافظ وهذه ما قالتها احتمالا ، وليس بلازم لاحتمال أن يكون التعبد وقع بذلك أيضا فيحصل الاجتهاد فى جميع العشر أه .

قلت : والصحيح أنه ﷺ كان يعلمها وذلك لأمرين :

إحدهما : ما نقله البخاري فى الصحيح لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ (القدر: ٢) . عن سفيان بن عيينة قال : كل شيء من القرآن ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾ فقد أخبره به ، وكل شيء فيه ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ فلم يخبره به أه .

ثانيهما : ما رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد حسن عن عبد الله بن أنيس قال : يا رسول الله أخبرني أى ليلة تبتغى فيها ليلة القدر ؟ فقال {لولا أن تترك الناس الصلاة إلا تلك الليلة لأخبرتكم} .

وفى مسند البزار بإسناد رجاله ثقات عن مرثد قال لقيت أبا ذر عند الجمرة الوسطى فسألته عن ليلة القدر فقال ما كان أحد بأسأل عنها منى قال : قلت يا رسول الله أنزلت على الأنبياء بوحي إليهم ثم ترفع ؟ قال : {بل هي إلى يوم القيامة} . قلت : يا رسول الله أيتها هي ؟ قال : {لو أذن لي لأنبأتك بها ولكن التمسها فى التسعين والسبعين - بفتح العين فيهما - ولا تسألني بعدها} . قال : ثم أقبل رسول الله ﷺ فجعل يحدث ، وقلت : يا رسول الله فى أى السبعين هي ؟ فغضب على غضبة لم يغضب على بعدها ولا قبلها مثلها ، ثم قال : {ألم أنهلك عنها لو أذن لي لأنبأتك بها ولكن - وذكر كلمة أن تكون فى السبع الأواخر} .

ففى هذا دليل على أنه ﷺ أعلمها بعد أن نسيها ولم يؤذن له تعيينها لئلا

يتكل الناس ويتركوا العبادة طوال السنة اعتماد على أن ليلة القدر تكفر كل الذنوب .

هل يخبر بها من رآها

ذكر تقي الدين السبكي في الحلبيات استنباطا من قصة المتخاصمين التي أوردنها آنفا أنه يؤخذ منها استحباب كتمان ليلة القدر لمن رآها، قال ووجه الدلالة أن الله قدر لنبيه أنه لم يخبر بها والخير كله فيما قدر له فيستحب اتباعه في ذلك . قال : والحكمة فيه أنه كرامة والكرامة ينبغي كتمانها بلا خلاف بين أهل الطريق من جهة رؤية النفس فلا يأمن السلب ومن جهة أن يأمن من الرياء، ومن جهة الأدب فلا يتشاغل عن الشكر لله بالنظر إليها وذكرها للناس ومن جهة أنه لا يأمن الحسد فيوقع غيره في المحذور، ويستأنس له بقول يعقوب عليه السلام ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ﴾ (يوسف: ٥) .

كيف يراها الرائي

اختلف العلماء هل لها علامة تظهر لمن وفقت له ؟ ف قيل يرى كل شيء ساجد، وقيل يرى الأنوار في كل مكان ساطعة حتى في المواضع المظلمة، وقيل : يسمع سلاماً أو خطاباً من الملائكة وقيل علامتها استجابة دعاء من وفقت له واختار الطبراني أن جميع ذلك غير لازم، وأنه لا يشترط لحصولها رؤية شيء ولا سماعه، أه . والله اعلم .

هل كانت ليلة القدر فى الأمم قبلنا ؟

أختلف العلماء هل كانت ليلة القدر فى الأمم السابقة ؟ أو هي من خصائص هذه الأمة ؟ ففي الموطأ قال مالك : إنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول : إن رسول الله ﷺ رأى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته لا يبلغوا من عمل مثل الذي بلغ غيرهم فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر هكذا جاء مرسلا ، وروى مسندا من وجه آخر ، وهذا يقتضي أنها خاصة بهذه الأمة ، وبه جزم ابن حبيب وغيره من المالكية ، ونقله هو وصاحب العدة من الشافعية عن الجمهور وحكى الخطابي الإجماع عليه ، ولكن الحديث على خلاف ذلك .

ففي المسند وسنن النسائي عن أبى ذر قلت : يا رسول الله ، أخبرني عن ليلة القدر أفى رمضان أم فى غيره ؟ قال { بل هي فى رمضان } . قلت : تكون مع الأنبياء ما كانوا فإذا قبضوا رفعت أم هي إلى يوم القيامة قال : { بل هي إلى يوم القيامة } .

وقد تقدم قريبا وهو صريح فى أن ليلة القدر كانت موجودة فى الأمم السابقة ، وإليه مال الحافظان ابن كثير وابن حجر العسقلاني ، زاد الحافظ ابن حجر أن ما رواه مالك واعتمده الجمهور يحتمل التأويل فلا يدفع الصريح فى حديث أبى ذر أنه .

والواقع أنه لم يرد حديث صريح يدل على اختصاصها بهذه الأمة ، بل قوله تعالى ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا ﴾ (الدخان : ٤-٥) . يقتضي إنها لو كانت فى الأمم السابقة أيضا وإنما الذي يعد من خصوصيات هذه الليلة إنزال القرآن فيها ، والله أعلم .

قيام ليلة القدر يكفر الذنوب

فى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : { من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومن صام رمضان احتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه } . زاد فى بعض الروايات عند النسائي وغيره { وما تأخر } . وفى هذه الزيادة كلام استوعبه الحافظ فى كتاب { الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة } .

هل يعطى ثوابها وإن لم يعلمها ؟

اختلف العلماء هل يحصل الثواب المرتب على ليلة القدر لمن اتفق له أنه قامها وإن لم يظهر له شيء ؟ أو يتوقف ذلك على كشفها له ؟ ذهب الطبري والمهلب وابن العربي وجماعة إلى الأول ، وذهب الأكثر إلى الثاني .

قال الحافظ : ويدل له ما وقع عند مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ { من يقوم ليلة القدر فيوافقها } .

وفى حديث عباد بن أحمد { من أقامها إيماناً واحتساباً ثم وفقت له } . قال النووي معنى يوافقها أى يعلم إنها ليلة القدر فيوافقها ويحتمل أن يكون المراد يوافقها فى نفس الأمر وإن لم يعلم هو ذلك .

وفى حديث زر بن حبيش عن ابن مسعود قال : من يقوم الحول يصب ليلة القدر وهو محتمل للقولين أيضاً .

وقال النووي أيضاً فى حديث { من قام رمضان } وفى حديث { من قام ليلة القدر } معناه من قامه ولو لم يوافق ليلة القدر ، ومن قام ليلة القدر فوافقها حصل له ، وهو جار على ما اختاره من تفسير الموافقة بالعلم .

قال الحافظ: وهو الذي يترجح فى نظري، ولا أنكر حصول الثواب الجزيل لمن قام لابتغاء ليلة القدر وإن لم يعلمها ولو لم توفق له، وإنما الكلام على حصول الثواب المعين الموعود به، وفرعوا على القول باشتراط العلم جواز أن يعلم بها شخص دون شخص فيكشف لواحد ولا يكشف لآخر ولو كانا معا فى بيت واحد أهـ.

هل تمكن رؤيتها

تقدم أن لها علامات تعرف بها ويراهها من وفقت له، ولكن ابن جرير الطبري لا يوافق على ذلك بل يرى فى إخفاء ليلة القدر وعدم تعيينها دليلا على كذب من يزعم أنه يظهر فى تلك الليلة للعيون ما لا يظهر فى سائر السنة قال: إذ لو كان ذلك حقا لم يخف على كل من قام ليالي السنة فضلا عن ليالي رمضان أهـ.

وتعقبه ابن المنير بأنه لا ينبغي إطلاق القول بالتكذيب لذلك بل يجوز أن يكون ذلك على سبيل الكرامة لمن شاء الله فيختص بها قوم دون قوم والنبي ﷺ لم يحصر العلامة ولم ينف الكرامة أهـ.

أقل ما يحصل به قيام الليل

قال مالك فى الموطأ: بلغني أن سعيد بن المسيب قال: من شهد العشاء ليلة القدر - يعنى فى جماعة - فقد أخذ بحظه منها، وقال الشافعي فى القديم من

شهد العشاء والصبح ليلة القدر فقد أخذ بحظه منها، وأخرج أبو الشيخ الأصبهاني ومن طريقه أبو موسى المديني بإسناد ضعيف عن أبي هريرة مرفوعاً {من صلى العشاء الآخرة جماعه في رمضان فقد أدرك ليلة القدر} .

وروى ابن أبي الدنيا عن أبي جعفر محمد بن علي مرسلاً أن النبي ﷺ قال: {من أتى عليه رمضان صحيحاً مسلماً صام نهاره وصلى ورداً من ليله وغض بصره وحفظ فرجه ولسانه ويده وحافظ على صلاته في الجماعة وبكر إلى الجمعة، فقد صام الشهر واستكمل الأجر وأدرك ليلة القدر وفاز بجائزة الرب} . وهو حديث ضعيف أيضاً، وعلى كل فضل الله واسع، ومن شهدا العشاء والصبح في جماعه طوال شهر رمضان فالرجاء ألا يحرم من ليلة القدر وبالله التوفيق .

هل يستحب الاغتسال ليلة القدر ؟

قال ابن جرير الطبري: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأواخر، وكان إبراهيم النخعي يغتسل ويتطيب في الليالي التي تكون أرجى لليلة القدر فأمر زر بن حبيش بالاغتسال ليلة سبع وعشرين من رمضان، وكان أيوب السختياني التابعي يغتسل ليلة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين ويلبس ثوبين جديدين ويستجمر ويقول: ليلة ثلاث وعشرين هي ليلة أهل المدينة والتي تليها ليلتنا يعنى البصريين، وقال حماد بن سلمة: كان ثابت البناني وحميد الطويل يلبسان احسن ثيابهم ويتطيبان ويطيبان المسجد بالنضوج والدخنة في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر، وقال ثابت البناني: كان لتميم الداري حلة اشتراها بألف درهم وكان يلبسها في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر .

وروى عن أنس بن مالك أنه إذا كان ليلة أربع وعشرين اغتسل وتطيب

ولبس حلة أزاراً ورداء . فإذا أصبح طواهما فلم يلبسهما إلى مثلها من قابل .

قال الحافظ بن رجب: تبين بهذا أنه يستحب في الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر . التنظيف والتزین والتطيب بالغسل والطيب واللباس الحسن كما يشرع ذلك في الجمع والأعياد .

قلت: ورد أن النبي ﷺ كان يغتسل في العشر الأواخر من رمضان ، وذلك لمكان ليلة القدر فأخرج ابن أبي عاصم بإسناد مقارب عن عائشة قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا كان رمضان قام ونام فإذا دخل العشر شد المنزر واجتنب النساء واغتسل بين الأذنين - أذان المغرب والعشاء - وجعل العشاء سحورا) .

وعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يغتسل بين العشاءين كل ليلة - يعنى من العشر الأواخر - في إسناده ضعف .

وروى ابن عاصم عن حذيفة أنه قام مع النبي ﷺ ليلة من رمضان فاغتسل النبي ﷺ وستره حذيفة وبقيت فضله فاغتسل بها حذيفة وستره النبي ﷺ .

هل للنفساء والحائض نصيب من ليلة القدر ؟

قال جوبير: قلت للضحاك رأيت النفساء والحائض والمسافر والنائم لهم في ليلة القدر نصيب ؟ قال نعم ، كل من تقبل الله عمله سيعطيه نصيبه من ليلة القدر ، ومعنى هذا أن هؤلاء أحسنوا العمل في شهر رمضان فتقبل الله منهم ومن تقبل الله منه لم يحرمه نصيبه من ليلة القدر والله أعلم .

أى العمل أفضل فى هذه الليلة ؟

قال سفيان الثوري: الدعاء فى هذه الليلة أحب إلى من كثرة الصلاة، قال: وإذا كان يقرأ وهو يدعو ويرغب إلى الله فى الدعاء والمسألة لعله يوافق أهـ .

قال الحافظ بن رجب: ومراده أن كثرة الدعاء أفضل من الصلاة التى لا يكثّر فيها الدعاء وإن قرأ ودعاء كان حسناً، وقد كان النبي ﷺ يتهجّد فى ليالى شهر رمضان ويقرأ قراءة مرتّله لا يمرّ بآية فيها رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوذ، فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر أهـ .

وقالت عائشة للنبي ﷺ (أرأيت ان وافقت ليلة القدر ما أقول فيها ؟) قال: {قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني} . فالدعاء مفضل فى هذه الليلة والله اعلم .

إحياء ليلتي العيدين

يستحب إحياء ليلة عيد الفطر وليلة عيد الأضحى بما تيسر من الذكر والصلاة لما ورد فى إحيائهما من الأحاديث والآثار فإنها وإن كانت ضعيفة يعمل بها فى مثل هذا الباب من فضائل الأعمال ففي سنن ابن ماجه عن أبى أمامة ؓ عن النبي ﷺ قال: {من قام ليلتي العيدين محتسباً لم يمّت قلبه يوم تموت القلوب} .

وروى أبو القاسم الأصبهاني فى كتاب الترغيب عن معاذ بن جبل ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: {من أحيا الليالي الخمس وجبت له الجنة} . ليلة التروية، وليلة عرفة، وليلة النحر، وليلة الفطر، وليلة النصف من شعبان .

وفى معجم الطبرانى الكبير والأوسط عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: {من أحيى ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب} .

ويروى عن عمر ابن عبد العزيز أنه كتب إلى عامله على البصرة: عليك بأربع ليال من السنة فإن الله يفرغ فيهن الرحمة إفراغا أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة الأضحى .

وقال الإمام الشافعي: بلغنا أن الدعاء يستجاب فى خمس ليالي ليلة الجمعة، والعيدين، وأول رجب، والنصف من شعبان .

هل يكون أحياء ليلتي العيدين فى جماعه

اختلف العلماء هل يستحب إحياء هاتين الليلتين فى جماعة أو لا؟ وعن الإمام أحمد فى ذلك روايتان قال فى رواية: لا يستحب إحياءها جماعة لأنه لم ينقل عن النبي ﷺ وأصحابه، وقال فى رواية أخرى: يستحب لفعل عبد الرحمن بن يزيد بن الأسود لذلك، وهو من التابعين .

أقل ما يحصل به الإحياء

قال النووي فى الأذكار: اختلف العلماء فى القدر الذى يحصل به الإحياء فالأظهر أنه لا يحصل إلا بمعظم الليل، وقيل يحصل بساعة أهـ .

استحباب التكبير ليلة عيد الفطر

يستحب التكبير ليلة عيد الفطر لقوله تعالى - وقد ذكر صوم رمضان -
﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٥) .

قال الحافظ بن كثير: ولهذا أخذ كثير من العلماء مشروعية التكبير في عيد الفطر من هذه الآية، حتى ذهب داود الأصبهاني الظاهري إلى وجوبه في عيد الفطر لظاهر الأمر في قوله ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ . وفي مقابلته مذهب أبي حنيفة رحمه الله أنه لا يشرع التكبير في عيد الفطر، والباقون على استحبابه على اختلاف في تفصيل بعض الفروع بينهم أهـ .

وفي كتاب المحلى لابن حزم الظاهري مسأله والتكبير ليلة عيد الفطر فرض، وهو في ليلة عيد الأضحى حسن، قال تعالى - وقد ذكر صوم رمضان -
﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ . بإكمال عدة شهر رمضان وجب التكبير، ويجزى من ذلك تكبيره، وأما ليلة عيد الأضحى ويومه ويوم الفطر فلم يأت به أمر، لكن التكبير فيه فعل خير وأجر أهـ

كيفية التكبير

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: أصح ما ورد في صيغة التكبير ما أخرجه عبد الرازق بسند صحيح عن سلمان قال: كبروا الله، الله أكبر، الله أكبر كبيرا .

ونقل عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، أخرجه جعفر الفريابي في كتاب الثعديين، وهو قول الشافعي وزاد: والله الحمد وقيل يكبر ثلاث، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلى آخره وقيل يكبر اثنتين،

بعدهما لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر والله الحمد، جاء ذلك عن عمر . وعن ابن مسعود نحوه، وبه قال أحمد واسحق - يعنى ابن راهوية - . وقد أحدث فى هذه الزمان زيادة فى ذلك لا أصل لها أه كلامه .

قلت: يكفى من ذلك الله أكبر ثلاث مرات فإن زاد فهو خير، وقد ورد عن أبى هريرة مرفوعا {زينوا أعيادكم بالتكبير} . رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير، وهو حديث ضعيف وفيه نكارة وإنما أوردها هنا للتنبيه عليه حتى لا يغتر به . والله أعلم .

يوم عيد الفطر يسمى يوم الجائزة

أخرج الطبرانى فى الكبير، والحسن بن سفيان فى مسنده، عن سعيد بن أوس الأنصاري عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: {إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطريق فنادوا: أغدو يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم، وأمرتم بصيام النهار فصمتم، وأطعتم ربكم، فاقبضوا جوائزكم فإذا صلوا نادى منادى: إلا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة} . إسناده ضعيف .

وله شاهد من حديث ابن عباس عند البيهقى وأبى الشيخ ابن حبان وقد تقدم وشاع بين كثير من الخطباء حديث يرددونه فى خطبة العيد ولفظه {من عصى الله فى يوم عيد فكأنما عصاه يوم الوعيد} وهو حديث باطل لا أصل له، وليس فى الأحاديث ما يشهد له، والله أعلم .

استحباب الأكل قبل الصلاة يوم عيد الفطر

فى صحيح البخاري عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلهن وتراً، ورواه ابن حبان والحاكم وغيرهما بلفظ ما خرج يوم فطر حتى يأكل تمرات ثلاث أو خمس أو سبع أو أقل من ذلك أو أكثر وتراً، ومن الحكمة في تعجيل الفطر قبل الصلاة ما أشار إليه ابن أبي جمره وغيره، أنه لما وقع وجوب الفطر عقب وجوب الصوم استحب تعجيل الفطر مبادرة إلى امتثال أمر الله تعالى ويشعر بذلك اقتصاره على القليل من ذلك، ولو كان لغير الامتثال لأكل قدر الشبع، والحكمة فى اختيار التمر ما فيه من الحلاوة المقوية للبصر بعد ضعفه من الصوم، ولعل الحلو مما يوفق الإيمان ويعبر به فى المنام ويرق به القلب وهو أيسر من غيره، ولهذا استحب ابن سيرين ومعاوية بن قرة وغيرهما من التابعين أن يفطر على الحلو مطلقاً كالعسل مثلاً، وأما الحكمة فى الإيتار فلأن الله وتر يحب الوتر، ومن لم يجد تمراً ولا حلو فليفطر ولو على جرعة ماء .

زكاة الفطر

أخرج ابن شاهين فى فضائل رمضان عن جرير ابن عبد الله البجلي قال: قال رسول الله ﷺ: {صوم شهر رمضان معلق بين السماء والأرض ولا يرفع إلا بزكاة الفطر} . قال ابن شاهين: حديث غريب جيد الإسناد .

قلت: إنما توقف رفع صوم رمضان على زكاة الفطر لأنها فرضت جبراً وتطهيراً لما عسى أن يصيبه الصائم من لغو أو رفث كما سيأتي فى الحديث بعده، فمن أراد رفع صيامه وقبوله فليعجل بزكاة الفطر .

حكمة فرضيتها

أخرج أبو داود وابن ماجه عن ابن عباس ؓ قال: فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، طعمه للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات، صححه الحاكم، طهرة وطعمة، بضم الطاء فيهما، يعنى أن الحكمة فى فرض زكاة الفطر تطهير الصائم من اللغو والرفث، وإطعام المساكين فى يوم العيد، قال الخطابي: قوله فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر فيه بيان أن صدقة الفطر فرض واجب كافتراض الزكاة الواجبة فى الأموال وفيه بيان أن ما فرض رسول الله ﷺ فهو كما فرض الله لأن طاعته صادرة عن طاعة الله وقد قال بفرضية زكاة الفطر ووجوبها عامة أهل العلم وقد عللت بأنها طهره للصائم من اللغو والرفث فهي واجبه على كل صائم غنى ذي جدة - بكسر الجيم أى يسار - أو فقير يجدها فاضلة على قوته إذا كان وجوبها لعله التطهير وكل الصائمين محتاجون إليه فإذا اشتركوا فى العلة، اشتركوا فى الوجوب.

وقد روى ابن خزيمة من طريق كثير بن عبد الله بن عمر بن عوف المزني عن أبيه عن جده قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ (الأعلى: ١٤). أى تطهر ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ (الأعلى: ١٥). قال: { أنزلت فى زكاة الفطر } . هذا حديث ضعيف وهذه السورة مكية، وزكاة الفطر فرضت بالمدينة.

نعم يصح أن يؤخذ ذلك من الآية بطريق العموم الملفظ وسريان علة التطهير كما ورد أن عمر بن عبد العزيز كان يأمر الناس بإخراج صدقة الفطر ويتلو هذه الآية ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ (الأعلى: ١٤-١٥).

وعن أبي خلدة قال: دخلت على أبي العالية فقال لي: إذا غدوت غدا إلى العيد فمر بي فمررت به، فقال: هل طعمت شيئا؟ قلت: نعم، قال: أفضت على

نفسك من الماء ؟ قلت : نعم قال : فأخبرني ما فعلت زكاتك ؟ قلت : قد وجهتها ، قال إنما أردت لك هذه ثم قراء ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ (الأعلى : ١٤-١٥) وقال إن أهل المدينة لا يرون صدقه أفضل منها ومن سقاية الماء .

متى تخرج يوم عيد الفطر

أفضل وقت لإخراجها . قبل صلاة العيد كما تقدم في حديث ابن عباس ، وروى الطبراني عن ابن عباس أيضا قال : كنا نأكل ونشرب ونخرج صدقة الفطر ثم نخرج إلى المصلى وفي الصحيح عن ابن عمر أن النبي ﷺ أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة ، فإن أخرجت الزكاة إلى ما بعد صلاة العيد صحت عند الجمهور لأن يوم العيد كله وقت لإخراجها وإن كان قبل صلاة العيد أفضل ، فإن أخرت عن يوم العيد كان حراما كما لو أخرت الصلاة عن وقتها ، ويكون إخراجها بعد ذلك قضاء .

هل يشترط فيها النصاب

لا يشترط في زكاة الفطر ملك النصاب كما في زكاة المال بل من ملك زيادة على قوته وقوت من تلزمه نفقته قدر زكاة الفطر وجب عليه إخراجها لقوله ﷺ : { صاع من بر على كل امريء صغير أو كبير حر أو عبد ذكر أو أنثى غنى أو فقير أما غنيكم فيزكيه الله وأما فقيركم فيرد الله عليه أكثر مما أعطى } . رواه أحمد ، وأيضا فإن زكاة الفطر شرعت لتطهير الصائم ، والفقير يحتاج إلى التطهير كما يحتاج الغنى ، ويصح للفقير الذي أدى زكاة فطره أن يأخذ زكاة الفطر من

الغير باعتباره فقيرا لقوله ﷺ: {وأما فقيركم فيرد الله عليه أكثر مما أعطى} .

مقدار زكاة الفطر

فى الصحيحين عن ابن عمر ؓ قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير، على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة .

وفى الصحيحين أيضا عن أبى سعيد الخدرى ؓ قال: كنا نخرج فى عهد رسول الله ﷺ يوم الفطر صاعا من طعام، قال أبو سعيد: وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر (والأقط بفتح الهمزة وكسر القاف - لبن مجفف يابس) والتمر، يستعمل عند العرب للطبخ .

اختلف العلماء فى تقدير زكاة الفطر لاختلافهم فى تقدير الصاع، فالصاع أربعة إمداد بمده عليه اليوم قدح وثلاث على ما حرره الأجهورى شيخ الصلاة والسلام، وتحرير ذلك بالكيل المعروف المالكية فى وقته، وعند الشافعية قدحان، وعند الحنفية قدح وسدس، والزكاة تكون من الطعام المعتاد فى البلد قمحا كان أو غيره ويجوز دفع القيمة لأنها أيسر وأكثر فائدة، ويصح للمرأة أن تعطى لزوجها الفقير، ولا يصح للرجل أن يعطى زكاته لزوجته الفقيرة لأن مؤنتها واجبه عليه، ويجوز لفقرين أن يدفع كل واحد منهما زكاته للآخر بشرط ألا يكون ذلك عن اتفاق سابق، أو عادة مستمرة، بل يكون على سبيل المصادفة، ومن سافر وأوصى أهله أن يخرجوا عنه زكاة الفطر كفاه ذلك ويستحب مع ذلك أن يخرج زكاة البلد الذى سافر إليه، فإن لم يوصهم، ولا اعتادوا أن يخرجوا عنه وجب عليه إخراج زكاة الفطر .

هل يصح إخراجها قبل العيد ؟

قال ابن مالك عن نافع : أن ابن عمر كان يبعث زكاة الفطر إلى الذي يجمع عنده قبل الفطر بيومين أو ثلاثة ، ورواه الشافعي عن مالك وقال : هذا حسن وأنا استحبه - يعنى تعجيلها قبل يوم الفطر - أه .

والمقصود أنه يجوز إخراج . زكاة الفطر قبل العيد بيومين أو ثلاثة عند المالكية . ويصح عند غيرهم إخراجها من أول رمضان والله أعلم .

الدعاء يوم العيدين

ورد حديث فى دعاء يقال يوم العيد - وهو وإن كان ضعيف - يقبل فى مثل هذا لأن الدعاء مطلوب فى القرآن وألسنة ولم يرد تعيين نوع منه بخصوصه ، فالأمر فيه واسع وهذا نص الدعاء المشار إليه { اللهم أنا نسألك عيشة تقية ، وميتة سوية ، ومردا غير مخز ولا فاضح ، اللهم لا تهلكنا فجأة ولا تأخذنا بغتة ، ولا تعجلنا عن حق ولا وصية ، اللهم أنا نسألك العفاف والغنى والتقوى والهدى وحسن عاقبة الآخرة والدنيا ، ونعوذ بك من الشك والشقاق ، والرياء والسمعة فى دينك ، يا مقلب القلوب لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمه أنك أنت الوهاب }

بسم الله

كتاب غاية الإحسان

فى فضائل شهر رمضان

وفضل زكاة الفطر

المحتويات

٣	إهداء
٤	مقدمة أسرار الصيام (شهر رمضان)
٦	كيف كان بدء الصيام
٧	كيف تدرجت أحوال الصيام
١٠	هل فرض صوم رمضان على من قبلنا ؟
١١	قصة الرجل الذي جاء يسأل عن الإسلام
١٣	أسهم الإسلام ثمانية
١٤	فتح أبواب الجنة في رمضان
١٥	صيام رمضان يكفر الذنوب
١٧	فضل الجود وتلاوة القرآن في شهر رمضان
٢٠	ما أعطته هذه آلامه في شهر رمضان
٢٤	باب الريان للصائمين
٢٤	الصوم جنه ووقاية
٢٨	متى يكون الصوم جنة ؟
٢٨	قصة الصائمتين اللتين اغتابتا الناس
٣٠	مضاعفة الحسنات والسيئات في رمضان
٣١	الصيام على أنواع
٣١	المحروم من حرم خير رمضان
٣٢	فضل السحور
٣٣	تنبيهات
٣٤	قيام رمضان
٣٥	قيامه ﷺ بالناس في رمضان
٣٦	عدد ركعات صلاة القيام

- ٣٨ ليلة القدر
- ٣٨ متى تكون ليلة القدر
- ٣٩ علامة ليلة القدر
- ٤٠ استبط ابن عباس تعيين ليلة القدر
- ٤١ قصة المتخاصمتان التي بسببها رفع تعيين الليلة
- ٤٢ هل علمها النبي بعد نسيانها ؟
- ٤٣ هل يخبر بها من رآها
- ٤٣ كيف يراها الرائي
- ٤٤ هل كانت ليلة القدر في الأمم قبلنا ؟
- ٤٥ قيام ليلة القدر يكفر الذنوب
- ٤٥ هل يعطى ثوابها وإن لم يعلمها ؟
- ٤٦ هل تمكن رؤيتها
- ٤٦ أقل ما يحصل به قيام الليل
- ٤٧ هل يستحب الاغتسال ليلة القدر ؟
- ٤٨ هل للنفساء والحائض نصيب من ليلة القدر ؟
- ٤٩ أى العمل أفضل في هذه الليلة ؟
- ٤٩ إحياء ليلتي العيدين
- ٥٠ هل يكون أحياء ليلتي العيدين في جماعه
- ٥٠ أقل ما يحصل به الإحياء
- ٥١ استحباب التكبير ليلة عيد الفطر
- ٥١ كيفية التكبير
- ٥٢ يوم عيد الفطر يسمى يوم الجائزة
- ٥٣ استحباب الأكل قبل الصلاة يوم عيد الفطر
- ٥٣ زكاة الفطر
- ٥٤ حكمه فرضيتها
- ٥٥ متى تخرج يوم عيد الفطر

- ٥٥ هل يشترط فيها النصاب
- ٥٦ مقدار زكاة الفطر
- ٥٧ هل يصح إخراجها قبل العيد؟
- ٥٧ الدعاء يوم العيدين
- ٥٨ الخـويات

إشراف

محمد بن علي بن يوسف